

27

القصص

الجزء الرابع

الوادي المقدس

الوادي المقدس

يقلم: الشيخ محمد عبد القصور

رسوم: الشيخ الشافعي سيف

إشراف: أ. محمد مصطفى



تَزُوجُ نَبِيَّ اللَّهِ مُوسَى ﷺ إِحْدَى ابْنَتَيْ الشَّيْخِ
الْكَبِيرِ ، فِي مُقَابِلِ أَنْ يَعْمَلَ لَدَيْهِ ثَمَانِي أَوْ عَشَرَ
سَنَوَاتٍ ، وَعَاشَ مُوسَى آمِنًا فِي أَرْضِ مَدْيَنَ ، يَخْدُمُ
الشَّيْخَ ، وَيَرْعَى لَهُ أَغْنَامَهُ ، حَتَّى أَتَمَّ عَشَرَ سَنَوَاتٍ ..
فَقَرَّرَ مُوسَى ﷺ أَنْ يُغَادِرَ مَدْيَنَ عَائِدًا إِلَى مِصْرَ ،
خَاصَّةً وَأَنْ عَقُوبَتَهُ عَنِ الْقَتْلِ قَدْ سَقَطَتْ عَنْهُ بِمُضِيِّ
الْمَدَّةِ ..

تجهز موسى عليه السلام هو وزوجته للرحيل ، واستأذن

الشيخ ، ثم غادر مدين ..

لقد جاء مدين وحيداً خائفاً ، وها هو ذا يخرج منها

مع زوجته ، وقد زایل الخوف ..

سار موسى مع زوجته في الصحراء قاصداً مصر ..

كان الوقت شتاءً .. وأمسى على موسى وزوجته

الليل .. لم يكن هناك قمرٌ بضئ ، لينير لهما الطريق ..

ولم يعد موسى قادراً على تلمس طريقه في

الصحراء وسط الظلام .. فحاول أن يشعل ناراً ،

ليهدي بضوئها إلى طريقه ، لكنه فشل .. فقد اشتد

البرد وعصفت الرياح ، وأصبح من المحال عليه أن

يشعل ناراً ..

وقف موسى عليه السلام حائراً .. ماذا يفعل هو وزوجته ،

لكي يتفيا البرد والظلام ؟

وَلَمْ تَطُلْ حَيْرَتُهُ كَثِيرًا ، فَقَدْ رَأَى نَارًا مُشْتَعِلَةً

فِي قَلْبِ الصَّحَرَاءِ ، فَفَرَحَ بِهَا ..

وَقَالَ مُوسَى لِرَوْجَتِهِ :

— لَقَدْ رَأَيْتُ نَارًا مُشْتَعِلَةً عَلَى الْبَعْدِ .. أَنْتَظِرْنِي هُنَا ،

حَتَّى أَذْهَبَ إِلَى هُنَاكَ ، وَأَحْضِرَ بَعْضًا مِنْ هَذِهِ النَّارِ

لِنَتَدَفَّأَ بِهَا ، وَلَعَلِّي أَجِدُ أَحَدًا بِجَوَارِ النَّارِ ، فَأَسْأَلُهُ عَنِ

الطَّرِيقِ الَّذِي ضَلَلْنَاهُ ، رُبَّمَا دَلَّنَا عَلَيْهِ ..

وَتَرَكَ مُوسَى زَوْجَتَهُ مُتَوَجِّهًا إِلَى النَّارِ الَّتِي لَمْ يَرَهَا

أَحَدٌ غَيْرُهُ ..

وَصَلَ مُوسَى ﷺ إِلَى وَادٍ يُسَمَّى (وَادِي طُوًى)

وَأَقْتَرَبَ مِنَ النَّارِ ، وَلَشِدَّةٍ دَهْشَتِهِ لَمْ يَجِدْ أَحَدًا

بِجَوَارِهَا .. لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ بَشَرٌ ، فَمِنَ الَّذِي أَشْعَلَ

هَذِهِ النَّارَ إِذَنْ ؟

وَلَمْ يَكُذِّبْ مُوسَى ﷺ يَمْدُ يَدَيْهِ إِلَى النَّارِ مُتَلَمِّسًا



دَفَاقَهَا ، حَتَّى سَمِعَ صَوْتًا جَلِيلًا مَهِيمًا يُنَادِي :
﴿ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

تَعَجَّبَ مُوسَى مِنْ جَلَالِ الصَّوْتِ الْعَظِيمِ ،
الَّذِي لَا يُشَبِّهُ أَصْوَاتَ الْبَشَرِ ، وَرَاحَ يَبْحَثُ حَوْلَهُ
عَنْ مَصْدَرِ الصَّوْتِ ، فَلَمْ يَجِدْ أَحَدًا .. كَانَ
الصَّوْتُ يَهْزُ الْكَوْنُ هَذَا ، فَارْتَجَفَ مُوسَى مِنَ الْخَوْفِ
وَالْفَزَعِ ..

وَبَدَأَتِ النَّارُ تَتَحَوَّلُ إِلَى نُورٍ شَدِيدٍ ، لِدَرَجَةٍ أَنْ
مُوسَى خَافَ عَلَى عَيْنَيْهِ مِنْ شِدَّةِ النُّورِ ، فَوَرَّاحَ
يُخَفِّيهِمَا بِيَدَيْهِ ..

وَتَكَرَّرَ الصَّوْتُ الْمَهِيمُ الْجَلِيلُ مُنَادِيًا مُوسَى
قَائِلًا :

﴿ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ
الْمُقَدَّسِ طَوًى ﴾ .

وعرف موسى أن الصوت الذي يُناديه هو
صوت رب العزة سبحانه .. إن الله - تعالى - يكلمه
مباشرة ، ودون وحي من الملائكة ، كما كان مع
الأنبياء السابقين ..

ارتجف موسى خشوعاً لرب العزة ، ونفذ الأمر
الإلهي ، فخلع نعليه ، ووقف ينصت إلى رب العزة ،
وهو يلقي إليه بوحيه ..

فقال رب العزة سبحانه :

﴿ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى * إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ
لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي * إِنَّ
السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا
تَسْعَى * فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ
فَتُرْذَى ﴾ .

وكان موسى ﷺ يحمل بيده اليمنى عصا ،
وهي العصا التي كان يستخدمها ، حينما كان

يرعى الأغنام لدى الشيخ الصالح ، فخطبه رب

العزة قائلا :

﴿ وما تلك بيمينك يا موسى ﴾ .

فأجابه موسى قائلا :

﴿ هي عصا أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي
ولي فيها مآرب أخرى ﴾ .

فأمر الله موسى أن يلقى بالعصا على الأرض ،
فأطاع موسى أمر ربه وألقى بالعصا .. ولشدة
دهشه رأى موسى العصا ، وهي تتحول في
لحظات إلى حية ضخمة ، وراحت تسعى على الأرض ،
مقتربة منه .. خاف موسى من الحية ، وهم بأن
يجرى مبتعدا عن المكان لينجو بنفسه ، حتى لا تلتهمه
الحية ..

لكن رب العزة طمأنه بقوله :

﴿ يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون ﴾ .

فَعَادَ مُوسَى يَنْظُرُ إِلَى الْحَيَّةِ مَرَّةً أُخْرَى ، وَهِيَ
تَتَحَرَّكُ عَلَى الْأَرْضِ ، فَخَاطَبَهُ رَبُّ الْعِزَّةِ سُبْحَانَهُ
قَائِلًا :

﴿ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴾ .



ولقد موسى عليه السلام الأمر الإلهي .. مد يده ولمس
الحية ، ولم يكده يلمسها ، حتى تحولت مرة
أخرى إلى عصا .. نفس العصا التي اعتاد موسى أن
يحملها .. وتلك معجزة أيد الله بها موسى عليه السلام ..
وخاطب رب العزة موسى ، طالبا منه أن يضع يده
في جيبه ، ثم يخرجها .. فلما وضع موسى يده في
جيبه وأخرجها ، وجدها بيضاء مضيئة ، تتلألأ
بالضياء ..

فتعجب موسى من عظيم قدرة الله - تعالى - وتلك
معجزة أخرى ..

وأمر رب العزة موسى أن يضع يده على صدره ،
وأن يضمها عليه بقوة ، حتى يذهب عنه الخوف
والروع ، اللذان انتاباه منذ مجيئه إلى الوادي
المقدس طوى ..

فلما فعل موسى ذلك ذهب عنه الخوف والفرع ،

وَعَادَ إِلَيْهِ الْأَطْمِنَانِ وَالسَّكِينَةُ ..

فَأَمَرَ الْمَوْلَى سُبْحَانَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى
فِرْعَوْنَ مُوسَى ، وَأَنْ يَدْعُوهُ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ
الْآخِرِ ، وَيَطْلُبَ مِنْهُ إِطْلَاقَ سَرَّاحِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَأَنْدَى
مُوسَى خَوْفَهُ مِنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ، وَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ مِنْهُمْ
رَحْلاً ، وَلِلَّذَلِكَ فَهُوَ يَخَافُ أَنْ يُوقَعُوا عَلَيْهِ الْقِصَاصُ ،
وَيَقْتُلُوهُ ..

وَطَلَبَ مُوسَى مِنْ رَبِّهِ أَنْ يُرْسِلَ مَعَهُ أَحَادَ هَارُونَ ،
حَتَّى يُسَانِدَهُ فِي إِبْلَاجِ دَعْوَتِهِ ، فَهُوَ أُنْبِغُ مِنْهُ فِي
الْحَدِيثِ ، وَأَفْصَحُ مِنْهُ لِسَاناً .

فَأَجَابَهُ اللَّهُ - تَعَالَى - إِبْنِي مَا طَلَبَ ، وَطَمَّأَنَهُ إِلَى أَنَّهُ
- سُبْحَانَهُ - سَيَكُونُ مَعَهُ هُوَ وَأَخِيهِ هَارُونَ يَسْمَعُ
وَيُرَى ، وَيُؤَيِّدُهُمَا بِالْمُعْجَرَاتِ .. وَأَنَّ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ
يَكُلُّ جَسْرُوتَهُمْ وَقُوَّتَهُمْ ، لَنْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يَمْسُوهُمَا
بَسْوَءٍ ..

فَدَعَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ رَبَّهُ ، طَالِباً مِنْهُ أَنْ يَشْرَحَ لَهُ

صدره ، وأن يُسرَّ له أمره في إبلاغ رسالته .
وأن يحلَّ عُقدة لسانه ، حتى يفهم فرعون وقومه
قوله .

فأجاب الله - تعالى - دعاء نبيه موسى عليه السلام ..
وهكذا حمل الله - تعالى - موسى عليه السلام أمانة تبليغ
الرسالة إلى فرعون وقومه ، وأن يطلب من فرعون
إطلاق سراح بني إسرائيل ..

فعاد موسى عليه السلام إلى حيث ترك زوجته في الصحراء ،
وقد اهتدى بهدى الله . واستضاء بنوره سبحانه ..
وتوجه مع زوجته إلى مصر ، وبعد رحلة من المعاناة
ومشاق الطريق وصلا إلى هناك ..

ويقال . إنهما وصلا مصر ليلاً ، وإنه نزل ضيفا
على أمه فلم تعرفه . ولم يعرفها ..

ويقال إن موسى وزوجته قد نزلا في جانب الدار .
فلما حضر أخوه هارون وراه ، سأل أمه عنه

فَقَالَتْ لَهُ : إِنَّهُ ضَيِّفٌ ، فَذَهَبَ هَارُونُ إِلَى مُوسَى ،
وَدَعَاهُ لِكَيْ يَجْلِسَ مَعَهُمْ ، وَفِي أَثْنَاءِ حَدِيثِ مُوسَى
مَعَ أُمِّهِ وَأَخِيهِ سَأَلَهُ هَارُونُ :
- مَنْ أَنْتَ ؟

فَاجَابَهُ مُوسَى :

- أَنَا مُوسَى ..

فَتَعَرَّفَ كُلُّ مَنِهْمَا الْآخَرَ ، وَعَرَفَ أَنَّهُ
أَخُوهُ ، فَقَامَ إِلَيْهِ وَعَانَقَهُ ..



وأخبر موسى ﷺ أخاه هارون أن الله - تعالى -
قد اختاره رسولا ، وكلفه بتبليغ الرسالة إلى فرعون
وقومه ، وأن الله قد جعله رسولا معه ، فلم يمانع
هارون ، ووافق على الذهاب معه إلى فرعون ، من
أجل إطلاق سراح بني إسرائيل ، ليعبدوا الله ..
توجه موسى وهارون - عليهما السلام - إلى قصر
الفرعون .. ذلك القصر الذي تربى فيه موسى صغيرا ..
ودخلا على الفرعون ..

كان الفرعون يجلس كعادته بين حاشيته ومستشاريه
وزرائه ، وغيرهم من كبار رجال الدولة ..
فلما رأى الفرعون موسى أمامه ، نظر إليه بازدراء
 واحتقار ، قائلا :

- من ؟ موسى ؟

فقال موسى :

- نعم أنا موسى ، وهذا أخي هارون ..

فَقَالَ فِرْعَوْنُ :

- لِمَ إِذَا عُدْتَ بَعْدَ أَنْ فَعَلْتَ فَعَلْتِكَ ، وَهَرَبْتَ كُلَّ

هَذِهِ السَّنَوَاتِ الطَّوِيلَةِ ١٢

فَقَالَ مُوسَى :

- جِئْتُ لِأَدْعُوكَ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ ..

فَقَالَ فِرْعَوْنُ مُتَهَكِّمًا :

- وَمَنْ هُوَ اللَّهُ الَّذِي تَدْعُونِي إِلَيْهِ هَذَا ؟ ! هَلْ تَعْرِفُ

لَكَ إِلَهًا غَيْرِي يَا مُوسَى ١٣

فَقَالَ مُوسَى :

- اللَّهُ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكَ .. هُوَ الَّذِي خَلَقَنِي وَخَلَقَكَ ،

وَخَلَقَ كُلَّ الْبَشَرِ وَالْمَخْلُوقَاتِ ، وَكُلَّ شَيْءٍ تَرَاهُ فِي

الْكُونِ الْفَسِيحِ ..

وَأَخَذَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يُحَدِّثُ فِرْعَوْنَ عَنْ قُدْرَةِ اللَّهِ ،

وَعَنْ رَحْمَتِهِ .. وَكَيْفَ أَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ لِمَنْ آمَنَ بِهِ

وَعِبَدَهُ ، وَأَنَّهُ جَبَّارٌ شَدِيدُ الْبَطْشِ لِمَنْ عَصَاهُ وَكَفَرَ

بِهِ ، وَخَالَفَ أَمْرَهُ ..

وَقَالَ مُوسَى لِقُرْعَوْنَ إِنَّهُ يَضْمَنُ لَهُ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ
 - تعالى - عَنْ ذُنُوبِهِ وَيَغْفِرَ لَهُ سَيِّئَاتِهِ ، وَيُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ
 لَوْ آمَنَ .. فَإِنْ ظَلَّ عَلَى كُفْرِهِ وَعِنَادِهِ ، وَطُغْيَانِهِ
 وَجَبَرُوتِهِ ، فَسَوْفَ يُعَذِّبُهُ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا
 وَالْآخِرَةِ ..

فماذا كان جوابُ فرعونَ على دعوةِ موسى له ؟ !

(تَمَّتْ)



قصص الأنبياء
 الكتاب التالي
 — موسى —
 عليه السلام
 (5)

(حوار مع فرعون)
 أحرص على اقتنائه